أصل الأسرة الخامسة والعشرين لمصر
كما تعكسه الجبانة الملكية السودانية
في الكُرُو

أ.د. العباس سيد أحمد محمد علي* أ.د. عبد القادر محمود عبد الله**

توطئـــــة:-

ليست الغاية من هذا البحث فتح الحوار من جديد عن أصل الأسرة الخامسة والعشرين في تاريخ مصر، فأمر أصلها الكوشي من وسط السودان قد قضي فيه، ولم يعد موضع خلاف بين علماء الدراسات السودانية القديمة بصفة خاصة، والمصرية القديمة بصفة عامة. والذي يحتاجه الموضوع من حين لآخر إلقاء أضواء هنا وهناك، من زوايا مختلفة، لمزيد من التوضيح والترسيخ له. وهذا ما المؤلفان بصدده الآن.

ولقد أُختيرت جبانة الكرو في هذا البحث لأنها أقدم الجبانات الملكية السودانية القديمة، ولأنها شملت مقابر الأسلاف السابقين لملوك الأسرة الخامسة والعشرين، ومدافن كوشتو وبيِّي (بعانخي في قراءته القديمة)، سابقي الأسرة الخامسة والعشرين، في الفترة المسماة بالفترة النبتية الأولى، وشباكو وشبتكو وتانويتاماني، ملوك الأسرة الخامسة والعشرين. فهي كجبانة، استمرت من قبل الأسرة الخامسة والعشرين إلى نهايتها.

والضوء الذي يلقيه البحث على موضوع أصل الأسرة الخامسة والعشرين يأتي من زاويتين، هما:

١- أن مقابر جبانة الكُرُو تظهر تطوراً محلياً، في كلا الجزأين العلوي والسفلي، متسلسلاً تسلسلاً زمنياً نسبياً حسب التتابع الطوبغرافي لمواقع المقابر، من أعلي الجبانة إلى أسفلها.

٢- أن ما يظهره تطور الجزأين العلوي والسفلي والتتابع الطوبغرافي تدعمه مظاهر أخرى متفرقة.

ولإظهار التطور المذكور، وتدرجه وتسلسله زمنياً نسبياً، لا بد من إظهار التسلسل الزمني النسبي للمقابر في الجبانة أولاً، إذ بغير ذلك لا تتيسر متابعة ذلك التطور أو إظهاره.

لذا فإن البحث يقع في خمسة أقسام رئيسة بعد التوطئة، وهي:

أولا: الموقع وموضع الجبانة.
ثانيا: التوزيع والتتابع الطوبغرافي
ثالثا: البناء العلوي (الخارجي)
رابعا: البناء السفلي (الداخلي)
خامساً: شواهد مساندة متفرقة.

وقبل الدخول في أقسام البحث الرئيسة، لا بد من التنويه إلي أن معلوماتنا عن الجبانة الملكية بالكرو مصدرها التنقيبات الأثرية المشتركة لجامعة هارفارد ومتحف بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الموقع بين عامي ١٩١٨-١٩١٩م، بقيادة جورج أندرو رايزنر الآثاري المعروف، الذي لم يكتف بذلك الموقع، وإنما بعد فراغه منه واصل جهوده في الجبانات الملكية الكوشية في نوري ومروي القديمة. أما نتائج التنقيبات فقد نشرها مساعده

---

* أستاذ مشارك ــ قسم الآثار والمتاحف ــ جامعة الملك سعود
** أستاذ ــ قسم الآثار والمتاحف ــ جامعة الملك سعود

داوز دنهم في خمسة مجلدات ضخمة، بعنوان *Royal Cemeteries of Kush*، ترجمته بالعربية "الجبانات الملكية لكوش"، أولها المجلد الخاص بالكرو[1].

ومن المهم في هذا المقام أن ننوه أيضاً إلى أن رايزنر صنف المقابر في جبانة الكرو صنفين، ورقمها ترقيمين مختلفين كذلك. فالصنف الأقدم هو المقابر الركامية (tumulii)، أعطاها الأرقام العربية مسبوقة بالاختصار Ku. Tum (أي: El-Kurru Tumulus)، مترجمة هنا باللفظة "ركم". والصنف الثاني المقابر غير الركامية، هرمية وغير هرمية (مساطب)، التي يسبق أرقامها الاختصار Ku (أي: El-Kurru). ولقد اكتفي بمجرد الأرقام لهذا الصنف في هذا البحث[2].

خلال الفترة منذ نحو ١١٠٠ق.م وحتى نحو ٨٠٠ق.م يخلو السجل الآثاري والتاريخي من أي معلومات عن مجريات الأحداث في وسط وادي النيل وجنوبه. فمنذ نهاية الأسرة ١٩ تبدأ منطقة النوبة العليا في الدخول في فترة انقطاع عن مصر، كما أن النوبة السفلى قد تبعتها بنهاية الأسرة ٢٠ (رمسيس الحادي عشر). أما في شمال وادي النيل فقد تركزت نشاطات ملوك الأسرة ٢٢(شاشانغ الأول اسركون الأول) في فلسطين. وفي نحو ٨٠٠ق.م تظهر أسرة في جنوبي وادي النيل تمد سلطتها شمالاً وتأخذ الترتيب الخامس والعشرين في ترتيب الأسر التي حكمت مصر. وفي عهد هذه الأسرة وصلت الدولة المصرية إلى أوسع حدود عرفتها عبر تاريخها بضمها لمصر وكوش في مملكة واحدة، وصفت المصادر الآشورية كلا من ملكيها تارقو (تهراقا) وتانويتاماني بأنه "ملك مصر وكوش".

والمتتبع لسيرة الحضارة المصرية القديمة، لا بد وأن يلاحظ ثمة أحداث غير عادية تكتنف الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت وادي النيل خلال الأعوام ٧٧٥ق.م-٦٥٠ق.م.، وبسطت نفوذها على رقعة جغرافية امتدت في أوج اتساعها من سيناء إلى جنوب الخرطوم. واستمر حكمها لوسط وادي النيل وجنوبه لألف عام بعد ذلك، حتى نحو ٣٢٠م. تشكل هذه الأحداث خروجاً عن المألوف في نمط المسيرة السياسية والحضارية لمجرى الأحداث في مصر، فنلاحظ مثلاً:

١- أن الأسرة قد تأسست في الجنوب بعيداً عن مركز الحكم في مصر، ثم بسطت نفوذها شمالاً، حيث تبلورت سلطتها في منطقة نبتا التي تبعد نحو ١٠٠٠كلم عن طيبة، المركز السياسي والديني لمصر القديمة.

٢- أن مركز السلطة خلال فترة حكمهم ظل لمعظم الوقت خارج مصر، وكذلك مدافنهم.

٣- أنهم التزموا بنظام لولاية العرش (عبر الأم تبعاً للنظام الأفريقي) مخالفاً للنظام المصري، من حيث توارث العرش بين الأخوة ثم الابن الأكبر للأخ الأكبر، وهكذا (الشكل٤) كذلك لعبت المرأة دوراً بارزاً في حياتهم السياسية.

---

[1] D. Dunham, Royal Cemeteries of Kush I-IV.

[2] انظر ثانيا وثالثا من البحث .

٤- حين فقدوا السيطرة على مصر تقهقروا جنوباً إلى مقرهم الأصلي وظلوا يحكمون وسط وادي النيل وجنوبه لنحو ألف عام بعد ذلك.

فالطريقة التي ظهرت بها هذه الأسرة على المسرح السياسي والطريقة التي حكمت بها والطريقة التي انتهت إليها، إضافة إلى ظواهر أخرى، سيأتي ذكرها، كلها أمور استدعت النظر في الأصل العرقي لهذه الأسرة. وكانت وجهات النظر في الماضي قد تباينت حيال ذلك، وذهبت إلى مناح ثلاثة:

- رأي طرحه عالم المصريات رايزنر يرى فيه أنها أسرة ليبية الأصل انحدرت من القبائل الليبية الجنوبية التي هاجرت إلى السودان في وقت هاجر فيه رصفاؤهم الشماليون إلى مصر، خلال فترة حكم شاشانغ الأول (٩٢٠-٨٦٠ق.م)[3]. واستند في ذلك على نصال (رؤوس سهام) عثر عليها في المقابر الركامية في الكرو، وعلى نص يخص الملكة تابيري، زوجة بيّي، وجد في قبرها رقم ٥٣ في الكرو، يقول، كما يرى رايزنر، أنها "سيدة الطمياح".

وبالطبع لا يمكن أن يستدل من نصال على جنور عرقية لجماعة بشرية. خلافاً لكون رؤوس السهام، حتى وإن كانت ليبية، قد تكرر وجودها في المقابر المصرية. ومن أمثلة ذلك ما كشفت عنه مقابر مدينة هابو من أمثلة مشابهة. ويذهب كندال الذي قام بدراسة مفصلة للمعثورات من المقبرة، إلى وصف هذا الرأي بأنه يعوزه المنطق، ولا يذهب أبعد من كونه تحيزاً عنصرياً[4]،

" utterly illogical....and nothing more than his own racial bias"

- رأى طرحه دريوتون وفونديه يقول بانحدار الأسرة من كهنة آمون في جبل البركل. واستندا في ذلك إلى أن الملوك كانوا قد أعطوا أنفسهم لقب "ملك مصر العليا والسفلى"، وأن "بعانخي"، الذي قرئ اسماً للملك الثاني في الأسرة الخامسة والعشرين، قريب من اسم باي عنخ بن حرحور[5]، رئيس كهنة أمون رع في الكرنك في الأسرة ٢٠.

ونستشعر من هذا الرأي أيضاً خللاً واضحاً يتمثل أولاً: في أن لقب "ملك مصر العليا والسفلى" لقب درج حكام مصر من غير المصريين كالهكسوس والليبيين على إطلاقه على أنفسهم. وبالتالي فليس كل من يطلق على نفسه هذا اللقب هو بالضرورة مصري. والأمر الثاني المتعلق بما قيل عن "بعانخي" وباي عنخ، فإنه ليس بحجة، ذلك لأن هذه القراءة لاسم الملك الكوشي لم تعد مقبولة الآن عند علماء الدراسات السودانية القديمة بعد أن برزت الحجة الواضحة بأنه كوشي اللغة والمعنى، ويقرأ بيّي بالمعنى "الحي". وبذلك فإن جميع ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وأسرهم لا يحملون أسماء مصرية، وهذا ما سنأتي لتفصيله في "خامساً" (٣).

---

[3] G.A. Reisner, "Discovery of the Tombs of the Egyptian XXVth. Dynasty", pp. 238, 246.

[4] , p. 6."The Origin of the Napatan State "T. Kendall,

[5] *Egypte*, pp. 537-538. 'E. Drioton and J. Vandier, *L*

♦ وتبنى آخرون، من بينهم آركل ودكسون رأياً يقول بالأصل المحلي لهذه الأسرة[6]، مستندين على عادات الدفن ووراثة العرش. وتبعهم في ذلك معظم العاملين في مجال الدراسات الكوشية، مثل إمري وشيني وادمز وتريغر وعبد القادر محمود عبد الله وكندال وهنتزة وبريزة وبكر.

ونحسب أننا قبل الخوض في تسليط الضوء الذي تكشف عنه المقبرة الملكية في الكرو، علينا الوقوف عند بعض المسلّمات:

١- إن بداية الدولة في التاريخ لا ترتبط عادة بإشعاع حضاري مجرد يأتي دوماً من مكان آخر، بل تولد الدول، حتى وإن لم تتضح تفاصيل ذلك الميلاد، نتيجة تطور وتداخل وتفاعل عوامل اجتماعية اقتصادية تقنية في إطار بيئي تحكمه ظروف تاريخية. وتلك أمور نحسب أن علم الآثار قد حسمها منذ عقود.

٢- إن ما يطرحه الآثاريون من تفسيرات للمادة الأثرية يكون دائماً رهيناً بطرح المدرسة أو المدارس الفكرية السائدة وقتها. هكذا يحدثنا تاريخ علم الآثار. ولعل سيادة المدارس الانتشارية التي نادت بمركزية مصرية وعراقية وخلافها، خلال الثلث الأول من القرن العشرين، قد حكمت ما صدر من تفسيرات للحضارات التي كشفت خلال تلك الفترة، تماماً كما سندت تلك المدارس أفكاراً عنصرية عن نشوء حضارات وتميز مجموعات عرقية وحرمان مجموعات أخرى من مقدراتها الإبداعية. لقد كانت نظرة واهية اختلقت تاريخاً ما كان له أن يصمد أمام أبسط التحليلات موضوعية.

٣ - يشهد التاريخ أن الحضارات تنمو وتضمحل وتتباين في مسيراتها طولاً وقصراً. وخلال تلك المسيرة تأخذ وتعطي وتؤثر في غيرها وتتأثر بها. إذ لم يعرف التاريخ حضارة ظلت تعطي أو تأخذ بلا انقطاع، وإلا لما بزغت حضارات وانهارت أخرى.

من هذه المسلمات، ومما كشفته التنقيبات الآثارية في مقابر أسلاف الكوشيين في الكرو نجد الأسباب مقنعة للحديث باطمئنان عن الأصل الكوشي للأسرة الخامسة والعشرين. وسيقع الحديث في قسمين رئيسين: الأول (أولاً- رابعاً)عن الدليل من الجبانة الملكية في الكرو. والثاني (خامساً)، عن الأدلة المساندة.

وسنتناول هنا من تلك النتائج ما يساعد على تسليط الضوء على القضية موضوع هذا البحث، من حيث أن جبانة الكرو تضم آباء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، وأن تقاليد هذه الجبانة المعمارية والجنائزية محلية في طابعها من ناحية، وامتداد لتقاليد سابقة من ناحية أخرى. وسيقوم التناول على متغيرات عدة، هي: الموقع وموضع الجبانة، والتوزيع والتتابع الطوبغرافي، والبناء العلوي، والبناء السفلي إضافة إلى شواهد أخرى.

[6] A. Arkell, *A History of the Sudan*, p. 114 n. 1, D.M. Dixon, "The Origins of the Kingdom of Kush.", pp. 121-132.

أولاً: الموقع وموضع الجبانة:

على الضفة الشرقية للنيل على بعد نحو عشرين كيلومتر إلى الجنوب الغربي من جبل البركل، "الجبل المقدس" في النصوص المصرية والكوشية، ومدينة كريمة الحالية، تقع قرية الكرو (الشكل ١). ولم يأت ذكر لهذا الاسم في أي من المصادر التي سبقت ظهور الأسرة الخامسة والعشرين. وليس بالقرية أي معالم أثرية يعود تاريخها إلى أبعد من تاريخ أسلاف تلك الأسرة، كما أنها تبعد عن جبل البركل مسافة كافية تجعل منها منطقة غير ذات أهمية بالنسبة لكهنة البركل. فلا هي مقابل الجبل على الضفة الأخرى كما هو الحال بالنسبة لصنب ونوري، ولا تحوي أي معلم طبيعي يجعل منها منطقة جاذبة أكثر من غيرها. ولا تبدو للاسم "كرو" دلالة مباشرة في اللغتين العربية أو النوبية، وتبقى علاقته بعبارة "كاري"، الاسم الذي أطلق على المنطقة إبان حقبة الدولة المصرية الحديثة، أو بعبارة "قور" "*qore* أو *kwr*، التي تعني "ملك" في الكوشية، محل استقصاء.

أما موضع الجبانة فهو رابية في الطرف الشمالي من القرية ترتفع في قمتها إلى نحو ١٣.٥متر، وتنحدر إلى كل الاتجاهات، ويقطعها مجريان قديمان شقتهما الأمطار في عصور قديمة، يقسمان الموقع إلى ثلاثة أجزاء (أوسط، وشمالي وجنوبي). والرابية تبدو عادية للغاية وليس لها ما يميزها على الروابي المنتشرة على مسافة العشرين كلم التي تفصل الكرو عن البركل، أو حتى عن تلك التي تقع إلى الجنوب من الكرو.

حوى الجزء الأوسط من الجبانة، وهو الأقدم، مدافن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وأسلافهم. وحوى الجزء الجنوبي مدافن زوجات ملوك تلك الأسرة، أما الجزء الشمالي فقد شمل مدافن خيول بعض ملوك الأسرة (الشكل٢).

ولتتبع التطور والاستمرارية في هذه الجبانة فقد قسمنا المقابر إلى أربع مجموعات رئيسة هي: ١- المقابر الركامية غير المسوّرة، ٢- المقابر الركامية بسور كالحدوة، ٣- المسطب، ٤- المقابر الهرمية. وكما سنرى فإن كلاً من هذه المجموعات تحوي تطوراً واستمرارية في داخلها كما أن نهاية كل مجموعة ترتبط ببداية المجموعة التالية.

ثانياً: التوزيع والتتابع الطوبغرافي:

يحوي الجزء الأوسط من الجبانة عشرين مقبرة من مجموع مقابر الجبانة الست والثلاثين (الشكل ٢)، ولمتابعة التطور الطوبغرافي على المرء الانطلاق من الافتراض المعروف في علم الآثار بأفضلية المكان (Superposition)، وهو مبدأ في التاريخ النسبي، يقوم على أن الإنسان إن أراد عمل شئ في مكان ما لم يسبقه إليه أحد، فإنه يختار أفضله على الإطلاق، وإن سبقه غيره فإنه يختار الأفضل مما تبقى من مكان؛ مما يعني أن الأشياء القائمة، أي الآثار الثابتة، في ذلك المكان متعاقبة بتعاقب الأفضل فالأفضل من الأماكن التي تقوم عليها. ويكون التسلسل التاريخي النسبي لتلك الآثار حسب أفضليات أماكنها، الأفضل فالأفضل. والأفضلية بالنسبة لجبانة الكرو تعني الارتفاع، والنأي بقدر الإمكان عن مسايل مياه الأمطار، وعوامل التعرية الأخرى السفلية.

حين يستعرض المرء المواضع الطوبغرافية للمجموعات الأربع وحسب الخارطة الكونتورية (الشكل٢)، يلاحظ أنها من أربع مراتب واضحة من أعلى إلى أسفل، في كل مرتبة منها مجموعة من المقابر، على النحو الآتي:

المرتبة الأولى: المجموعة الأولى، المقابر الركامية غير المسوّرة

مقابر المجموعة الأولى، وهي الركامية غير المسوَّرة، تحتل أعلى الرابية، حيث يقع القبر الركامي **ركم١** في أعلى جزء منها، على ارتفاع يتجاوز ١٣,٠٠م، فالقبر الركامي **ركم٥** على ارتفاع ١٢,٥٠م-١٢,٠٠م، فالقبر الركامي **ركم٤** على ارتفاع ١٢,٠٠م-١١,٥٠م، وأخيراً القبر الركامي **ركم٢** على ارتفاع ١١,٢٥م.

المرتبة الثانية: المجموعة الثانية، المقابر الركامية بسور كالحدوة

تأتي ثانية في الترتيب، من حيث الارتفاع، المقابر الركامية المسورة الواحدة منها بسور كالحدوة، فتحتها في اتجاه جنوبي شرقي أو جنوبي جنوبي شرقي وهي قبران، **ركم١٩**، الذي يقع على ارتفاع ١١,٢٥م-١١,٠٠م، **وركم٦**،على ارتفاع١١,٠٠م-١٠,٥٠م.

المرتبة الثالثة: المجموعة الثالثة، المساطب

تأتي المقابر غير الركامية، غير الهرمية في آن واحد، ثالثة في الترتيب من حيث الارتفاع الطوبغرافي. وهي مساطب في ثلاث فئات؛ فئة من خمس مقابر، مصطفة في ترتيب من الشمال إلى الجنوب، هي المساطب ١٤، ١٣، ١١، ١٠، ٩ (ألارا ؟)، تقع على ارتفاع يتراوح بين ١١,٠٠م-١٠,٥٠م، وفئة ثانية هي المسطبتان رقم٢٣ (كاسقو، زوجة ألارا ؟) و٨ (كوشتو) على ارتفاع١٠,٥٠م-١٠,٠٠م، وفئة ثالثة من المسطبتين ٧ (باباتما، زوجة كوشتو) و ٢١ في مواضع أقل ارتفاعاً بين١٠,٠٠م-٩,٥٠م.

المرتبة الرابعة: المجموعة الرابعة، المقابر الهرمية

تأتي في أدنى ارتفاع نسبياً، في المرتبة الرابعة والأخيرة، المجموعة الرابعة. وهي المقابر الهرمية، لأربعة ملوك. هي الهرم ١٧ المنسوب لبيِّي (بعانخي في قراءته السابقة) و١٥ لشباكو على ارتفاع يتراوح بين ١٠,٠٠م-٩,٥٠م. ويقع الهرم ١٦ لتانويتاماني على ارتفاع ٩,٥٠م، ويحتل الهرم ١٨ لشبتكو موضعاً خلفياً من الرابية على ارتفاع يتراوح بين ١٠,٠٠-١٠,٥٠م.

وعلى الجزء الجنوبي من الجبانة تقف خمس مقابر هرمية، تصطف أربع منها من الشمال إلى الجنوب على ارتفاع ١٠,٠٠، والخامس بين ١٠,٠٠-٩,٥٠م (الشكل ٢).

وعلى الجزء الشمالي من الجبانة مدافن الخيول وتتحصر جميعها بين ١٠,٥٠م-١٠,٠٠م، وأصحابها بيِّي (بعانخي)، شباكو، شبتكو وتانويتاماني.

فمن الواضح إذن أنه أمكن ترتيب المجموعات الأربع لهذه المدافن ترتيباً نسبياً على أساس طوبغرافي، من الأقدم إلى الأحدث نسبياً، وفق مواضعها من أعلا إلى أسفل. بل إن المجموعة الواحدة نفسها يمكن ترتيب مقابرها بالمبدأ ذاته.

ثالثاً: البناء العلوي (الخارجي):

نعني بهذا بناء المدفن الذي يبرز فوق سطح الأرض (الشكل ٣). وحين نتابع تطور البناء العلوي واستمراريته في المجموعات الأربع السابقة نلاحظ فيه تطوراً محلياً تلقائياً حتى قبيل المجموعة الرابعة، على النحو الآتي بإيجاز يفصَّل فيما بعد. فقد بدأ كومة ركام دائرية غير مسوَّرة وبلا مقصورة جانبية، فصار كومة ركامية بمقصورة جانبية وسور كحدوة الحصان، كلها في محور شمالي غربي-جنوبي شرقي تقريباً، ثم صار مسطبة بمقصورة

جانبية وسور مستطيل، في المحور السابق نفسه إلى قدر كبير، أو في اتجاه جنوبي شرقي ما بين ١٠١درجة و١٤٥درجة.
فيما يلي التفصيل.

المرتبة الأولى: المجموعة الأولى، المقابر الركامية غير المسوَّرة

بدءاً بالمقابر الركامية فإن البناء العلوي للمدافن **ركم ١، ٢، ٤، ٥** يتكون من كومة دائرية من التراب والحصى يتراوح قطرها ما بين ٥م-٧,٣٠م، ولا يحدها سور ولا ملحقة بها مقصورة جنائزية(الشكل٣).

المرتبة الثانية: المجموعة الثانية، المقابر الركامية بسور كالحدوة

أما المقابر الركامية من المجموعة الثانية، والمرتبة الثانية (الشكل٣)، فإنها شهدت تطوراً نسبياً في بنائها العلوي، حيث يلاحظ المرء أن المقبرة **ركم١٩** عليها كومة ركامية من الحصى والتراب، تغطي دائرة قطرها ٨,٨٠م، إلا أنها من غير مقصورة جنائزية ملحقة، ويحيط بها سور على شكل حدوة الحصان من حجارة رملية متساوية الحجم والشكل ومتراصة. والمقبرة حلقة وصل إذن بين المجموعة الأولى والثانية هذه، من حيث خلوها من المقصورة وإضافتها السور بشكله المذكور كالمقبرة **ركم٦** الآتية بعد، التي تشكل معها هذه المجموعة.

أما المقبرة الركامية **ركم٦** فإنها شبيهة بالمقبرة **ركم١٩**، من حيث التسوير بسور كالحدوة، غير أنها تزيد عليها بمقصورة جنائزية في الجهة الجنوبية الشرقية منها، داخلة في السور.

المرتبة الثالثة: المجموعة الثالثة، المساطب

تضم المجموعة الثالثة الفئات الثلاث من المقابر المسطبية، وهي الفئة الأولى، ١٤، ١٣، ١١، ١٠، ٩؛ والفئة الثانية، ٢٣، ٨؛ والفئة الثالثة، ٢١ و٧ (الشكل ٣). عند استعراض المرء للبناء العلوي لهذه المجموعة من المساطب، يلاحظ أن البناء العلوي في المسطبة ١٤من الفئة الأولى يعد حلقة وصل بين هذه والمجموعة السابقة، من حيث إنه يتكون من كومة ركامية دائرية الشكل، قطرها نحو ٥,٥٠م، شبيهة بتلك التي عرفتها المقابر المسورة بسور كالحدوة، غير أنها تغلفها مسطبة من الحجارة الرملية. وتلحق بالمسطبة مقصورة جنائزية، ويحيط بالمسطبة والمقصورة سور من الحجر الرملي، ينحرف في ضلعه الجنوبي لإفساح المجال لمدخل القبر الركامي ذي الحدوة، **ركم١٩**، السابق لها عهداً. أما بقية الفئة الأولى من المساطب، وهي ١٣، ١١، ١٠، ٩ ، فيغيب فيها التل الركامي الدائري وتغطي المدفن مسطبة من الحجر الرملي مربعة الشكل، وتلتصق بها مقصورة جنائزية، ويحيط بالمسطبة والمقصورة سور من الحجر الرملي. ويلاحظ على المسطبة ١٣ أن سورها الغربي ينحرف أيضاً متجنباً المقبرة الركامية ذات الحدوة، **ركم١٩**، مما يؤكد أسبقية الأخيرة وأهميتها. ويلاحظ على المسطبتين ٢٣ و ٢١ من الفئة الثانية أنهما صغيرتا الحجم وتتشابهان فيما تبقى من بنائهما، حيث تغطي المدفن مسطبة حجرية يحيط بها سورمن الفئة الثالثة، حجري. وتبدو المسطبة ٢١ سابقة عهداً للمسطبة ٨، من الفئة الثالثة التي ينحرف فيها جزء من السور الشرقي متجنباً المسطبة٢١ (الشكل ٣).

ويبدو من هذا أن المسطبة ١٤ تشكل رابطاً في بنائها العلوي واستمرارية في طرازها المعماري العام، بين المقابر الركامية بسور كالحدوة ومجموعة المساطب متمثلاً في الكومة الركامية المستديرة التي تعلو المدفن. وتشترك مع بقية المساطب في شكلها العام وفي السور الحجري الذي يحيط بها، وفي المقصورة الجنائزية.

المرتبة الرابعة: المجموعة الرابعة، المقابر الهرمية

تجيء الأهرامات في المرحلة الرابعة والأخيرة من حيث تطور البناء العلوي، ونعني بها المقابر ١، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨ (الشكل ٣). وفيما عدا الهرم١، الذي يقف شامخاً في أسفل المقبرة، والذي يعتقد أنه بني في عهد متأخر نسبياً (نحو ٣٧٠-٣٥٠ق.م.) فإن المقابر الأربع الأخرى يحوي كل منها أساسات لهرم، وهي حجارة منتظمة الشكل والحجم من الحجر الرملي، ويحيط بالأساس سور مبني أيضاً من ذات النوع من الحجارة الرملية. ويقف البناء العلوي على حجرة أو حجرات الدفن السفلية مباشرة. ولعل هذا ما قاد لصوص المقابر إلى إزالة البناء العلوي رغبة في الوصول إلى حجرة الدفن تماماً كما حدث في مدافن المساطب (شكل ٣).

رابعاً: البناء السفلي (الداخلي):

يقصد بالبناء السفلي هنا حجرة الدفن والمدخل الذي يقود إليها، وكلاهما محفوران تحت السطح في الصخر الرملي (الشكل ٤).

المرتبة الأولى: المجموعة الأولى، المقابر الركامية غير المسوّرة

يلاحظ أن البناء السفلي في المقابر الركامية غير المسوّرة **ركم**١، ٤، ٥ (الشكل ٤أ)، يتكون من حفرة بسيطة تحت السطح تدنوها حفرة جانبية هي غرفة الدفن، وليس عليها غطاء

حجري. وتأخذ الحجرة شكلاً بيضاوياً في المقبرة **ركم ١**، تحول إلى شكل مستطيل في بقية المقابر الركامية. أما المقبرة الركامية **ركم٢** فتميز عن بقية المقابر الركامية بسقف من الحجارة على السطح، يغطي حجرة الدفن.

المرتبة الثانية: المقابر الركامية بسور كالحدوة

تتفق مقابر هذه المرتبة (الشكل ٤ب) مع مدافن المرتبة الأولى بأن المدفن حفرة مستطيلة في محور شمالي شرقي-جنوبي غربي، في جانبها الشمالي الغربي. يتقاطع محور الحفرة عمودياً مع محور المقبرة ومقصورتها المتجهتين جنوبياً شرقياً، أي في محور جنوبي شرقي- شمالي غربي. من بين مقابر هذه المرتبة، تتميز المقبرتان **ركم ١٩ وركم ٦**، بأن كل واحدة منهما تحتوي على حجرة دفن مستطيلة الشكل، تتبعها حجرة أخرى جانبية، شقتا معاً في الصخر الرملي، تحت السطح، ويصل بينهما درج من عتبة واحدة. وفي أرضية حجرة الدفن في كلا المقبرتين أربع حفر لتدخل فيها أرجل السرير الذي يرقد عليه الميت.

المرتبة الثالثة: المساطب

إلى الأمام من المقابر الركامية بسور كالحدوة تصطف تسع مساطب (الشكل ٤جـ، د) تبدأ بالمسطبة ١٤، وتمتد جنوباً متعاقبة على هذا النحو ١٤، ١٣، ١١، ١٠، ٩، ٢٣، ٨، ٢١، ٧. وفيما يختص بالمسطبة ١٤، وهي الأولى في الترتيب، فإن البناء السفلي لها مشابه للمقابر الركامية ذات السور كالحدوة، من حيث إن حجرتي الدفن مقطوعتان في الحجر الرملي، وأن بأرضية الحجرة السفلى أربع حفر لأرجل السرير. وفي المساطب أرقام ١٣، ١١، ١٠ و٩، يلاحظ أن حجرات الدفن قد زيدت عمقاً في الحجر الرملي، وأن الحجرة السفلى الجانبية، التي تحوي المدفن، قد سدت بجدار من الطوب اللبن، يفصل بينها وبين الحجرة العليا، وأن الحجرتين يصل بينهما درج من عتبة واحدة في المسطبتين ٩و١٠، ومن عتبتين في المسطبة رقم ١١، وثلاث عتبات في المسطبة رقم ١٣. وجميعها بها حفر صغيرة في أرضياتها لأرجل السرير. أما في المسطبة رقم ٨ فإن حجرة المدفن قد حفرت في وسط أرضية المقبرة إلى عمق ٢,٥م، وعمل لها درج من عتبة واحدة من الجانبين. وتطور السقف ليصبح مجموعة متراصة من الحجارة (Corbel). ولا بد أن بناء الجزء العلوي في هذه المقبرة كان بعد موت صاحبها ودفنه، لأنه لا مدخل لها إلا من أعلي. وهذه آخر هذا الصنف من المدافن، إذ بعدها المقابر الهرمية التي تتم قبل موت صاحبها ما أمكن، ويدخل الجثمان فيها بنفق منحدر ذي درجات مدخلة أمام الهرم.

المرتبة الرابعة: المقابر الهرمية

في المرتبة الرابعة، وهي مجموعة الأهرامات، حدث تغيير كبير، يتلخص في الآتي (الشكل ٤هـ، و):

١. كما يبين أول هرم في كوش، الهرم ١٧ لبيِّي، فالمدفن حجرة واحدة، في شكل حفرة عميقة (٥,٠٥م×٣,١٥م) وسط المقبرة، عمقها ٥,٥م، مسقوفة بالحجارة، وهي بذلك لا تختلف عما سبقها. لكن الجديد هو كيفية الوصول إليها. فلأن اكتمال الهرم سابق للدفن، فكان لا بد من نفق مائل مدرج، من تسع عشرة درجة، مدخله بعيد عن الهرم نسبياً، يدخل به الجثمان إلى غرفة الدفن. فبدخول الهرم كعنصر في الجزء العلوي، داخل النفق المدرج كعنصر في الجزء السفلي. وكلاهما بتأثير مصري مع اختلاف، هو أن النفق ليس في جسم الهرم كما هو في مصر. أما الكوشي المستمر فهو أحادية الحفرة، المسقوفة بالحجارة.

وفي وسط أرضية حجرة الدفن دكة حجرية ليوضع عليها سرير الميت (الملك بيّي)، قد قطعت أركانها الأربعة لتدخل في تجويفاتها أرجل السرير (الشكل ٤).

٢. تطور هذا الوضع من عدة جوانب في مدافن الأهرامات١٥، ١٨، ١٦.

أ- زيدت حجرة الدفن إلى اثنتين بدلاً عن واحدة.
ب- ازداد حجم حجرة الدفن لتصل إلى ٦,٤×٥,١م في الهرم ١٨ لشبتكو، ابن بيّي وخليفة عمه شباكو، الذي ظلت حجرة دفنه كحجرة أبيه، مسقوفة بالحجارة.
ج- بدأ الاتجاه لأن يكون السقف صخرياً طبيعياً بنحت الغرفتين في الصخر، كما في مدفن الهرم ١٥ لشباكو أخ بيّي وخليفته، والهرم ١٦ لتانويتاماني.
د-ازداد طول الدرج ليصل إلى ٢٥ عتبة في الهرم ١٥ لشباكو، وإلى ٣٤ في المدفن رقم١٦ لتانويتاماني.
هـ- أغلقت حجرات الدفن الخارجية والداخلية بقطع من الحجر الرملي.
٢٧- على الأرضية دكة حجرية لحمل السرير الخشبي للميت، محفورة على جانبي طوليها، قريباً من أركانها، تجاويف لتدخل فيها أرجل السرير. وثمة ملاحظة معمارية تتعلق بالنفق المدرج للهرم ١٨لشبتكو؛ فهو منكسر غير مستقيم كسابقيه لضرورة، إذ يأتي من الشمال الشرقي في اتجاه جنوبي غربي، ثم يتجه عمودياً إلى اليمين في اتجاه شمالي غربي ليكون في محور الهرم، وبذلك يتخذ المدخل فيه شكل L، وذلك تفادياً للمسطبة ٨ (الشكلان ٢ و٣)، مما يشير بالطبع إلى أن هذه المسطبة سابقة للهرم ١٨، وأنها تخص شخصاً ذا شأن (كوشتو) مما يتطلب عدم المساس بها.

أما المعثورات داخل المقابر الركامية فإنها شملت نصالاً (رؤوس سهام) حجرية وأواني فخارية من النوع الوردي ذي الشفة السوداء (BTRW) ، الذي ميز المجموعتين الأولى (A) والثانية (C) ، ومن بعدها حضارة كرمة (الألفين الثالث والثاني ق.م.)، وأدوات زينة معدنية ومصنوعات من العاج إلى جانب المخلفات العظيمة. وقد غابت عنها الكتابات وكل ما يوحي بتأثيرات خارجية واضحة مما يوحي بأن المرء أمام مجتمع أسري ربما تقوده مشيخة محلية.

وفي مرحلة المساطب ازدادت هذه المعثورات ثراءً رغم ما أصابها من نهب، وظهرت جرار المرمر، وحملت الأواني الفخارية زخارف فنية وحوت بعض أدوات الزينة ومصنوعات أخرى.
أما مدافن الأهرامات فإن معثوراتها تكشف عن ثراءٍ وسلطة واسعة فقد حوت كمّاً من المجبيات (الأوشابتي) وموائد القرابين والدمى والتماثيل، إلى جانب أدوات الزينة والأسورة والأقراط والقلائد من مختلف أنواع المعادن، وزينت الجدران والأسقف بمشاهد دينية وشملت الكتابات.

خامساً: شواهد مساندة متفرقة:
فيما يلي أهم الشواهد المساندة للأدلة السابقة عن الأصل المحلي (الكوشي) للأسرة الخامسة والعشرين من الجبانة الملكية بالكرو، قبل الأسرة الخامسة والعشرين وبعدها.

١. المحوران السفلي والعلوي

إذا نظر المرء إلى محوري الجزأين السفلي والعلوي للمقابر بجبانة الكرو (الشكل ٢)، ابتداءً من المقابر الركامية، من المرتبة الأولى (المجموعة الأولى) إلى المقابر الهرمية، من المرتبة الرابعة (المجموعة الرابعة) والأخيرة، يلاحظ فيها أنها بدأت بمحورين متعامدين في الجزء السفلي فقط، ليس لهما مواز علوي. المحوران طولي وعرضي للحفرة ولحدها، قصيران ،لا يتجاوزانهما طولاً وعرضاً. كما يلاحظ أنها بعد ذلك شهدت انتشاراً وتوسعاً في المحورين، في الجزأين السفلي والعلوي معاً، على النحو الآتي:

أ. المحور الطولي للحفرة ولحدها والدكة الحجرية

يلاحظ المرء في المحور الطولي السفلي للحفرة واللحد المجاور لها تحولاً تدريجياً من اتجاه شمالي – شمالي – غربي وجنوبي – جنوبي – شرقي في المقابر الركامية غير المسورة، من المرتبة الأولى (المجموعة الأولى)، ليستقر في محور شمالي – شرقي وجنوبي – غربي بعد ذلك وفي نهاية الأمر، الذي أصبح هو محور الدكة الحجرية التي يوضع عليها سرير الميت أو الميتة.

ب – المحوران المتعامدان السفلي والعلوي

يلاحظ المرء في المحور العرضي السفلي للحفرة ولحدها، المتعامد مع محورهما الطولي، أنه كان غربياً – شمالياً – غربياً وشرقياً – جنوبياً – شرقياً في مقابر المرتبة الأولى (المجموعة الأولى) الركامية غير المسورة، وأنه في مقابر المرتبة الثانية (المجموعة الثانية) المسورة بسور كالحدوة يتحرك قليلاً بتحرك المحور الطولي للحفرة واللحد، ليتعامد معه في محور جنوبي – شرقي وشمالي – غربي في نهاية الأمر. والتحرك نفسه يواكبه تحرك محور الجزء العلوي، الذي أصبح مطابقاً له. ويستقر هذا المحور بعد ذلك في الجزء السفلي بعد تجاوزه الحفرة واللحد إلى غرف يؤتى لها بسلم، مدخله بعيد عن الهرم العلوي، في المحور نفسه، وبعد تجاوز الجزء العلوي الكومة الركامية المسورة وبلا مقصورة، إلى كومة ركامية بمقصورة ومسورة بسور كالحدوة، وهذه إلى مسطبة بمقصورة مسورة بسور مستطيل، بعدها إلى هرم بمقصورة وسور مستطيل.

لذلك فإن المحور السفلي لغرف الدفن والسلم، والمحور العلوي اتفقا في الاتجاه في نهاية الأمر، الذي أصبح جنوبياً – شرقياً وشمالياً – غربياً. وبما أن المدخل كان دائماً من الجنوب الشرقي، فقد أصبح الجنوب الشرقي وجهة المقابر لا في الكرو وحدها، ولا في المقابر فحسب، وإنما للمقابر والمعابد في سائر مواقعها في كوش لما تبقى من عصورها حتى نهاية الفترة المروية لكوش. لا يستثنى من ذلك سوى بضعة معابد، أشهرها معابد أمون في البركل وكوة، التي لها أسبابها الخاصة، ولا مجال لعرضها هنا.

٢. سرير الدفن والدكة الحجرية

تكرر في مواضع غير قليلة في البحث ذكر للدكة الحجرية التي يوضع فوقها سرير الميت، في عدد من المقابر الملكية بالكرو. وعادة دفن الميت على سريره، أو الميتة على سريرها، عادة كوشية قديمة معروفة منذ فترة كرمة الكوشية. وظهرت في الكرو بعد تحول اللحد إلى غرفة كاملة، في المقابر المسطبية، من المرتبة الثالثة (المجموعة الثالثة)، واستمرت في المقابر الهرمية. عندئذٍ اتخذت الدكة، والسرير فوقها، المحور الطولي نفسه الذي كان من قبل لحفرة الدفن ولحدها.

٣. كوشية أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين

لقد ثبت يقيناً أن أسماء الملوك والملكات، قبل الأسرة الخامسة والعشرين وبعدها، كوشية، باللغة الكوشية المعروفة الآن باللغة المروية[٧]. وينطبق ذلك على كل الملوك والملكات، البالغ عددهم نحواً من سبعة وستين ملكاً وملكة، من ألارا، في بداية القرن الثامن قبل الميلاد، حتى نهاية الفترة المروية لكوش في منتصف القرن الرابع الميلادي؛ أي لما يزيد عن ألف سنة. لا يستثنى من ذلك إلا ملك واحد هو حورسيوتف، الذي حكم في الربع الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد. فذلك ما يقطع بأن هؤلاء وأولئك من الملوك والملكات كوشيون لغة وأصلاً، وأن الأسرة الخامسة والعشرين كوشية أصلاً.

أ- **الاسم الأول: كوشتو "الكوشي"**

لا شك أنه من أطيب الصدف وأسعدها أن يكون ثاني ملك كوشي معلوم لنا، ومقبرته في الكرو، آخر مقبرة مسطبية ملكية، اسمه كوشتو (كاشتا في قراءته السابقة)، وأن يكون معناه "الكوشي"، وأن يكون تركيبه بناءً ونحواً باللغة الكوشية المشهورة بالمروية الآن.

فالاسم (الشكل ٥د) مكون من اسم المكان كوش، لحقت به **-تو** بمعنى "الذي ل / من"، في هذه الحالة وأشباهها. والأخيرة، وهي **تو**، مكونة من **س** (سين)، المسماة سين الإضافة غير المباشرة، و **-لو** اسم الموصول، بمعنى "الذي". لكن لام اسم الموصول وسين الإضافة غير المباشرة دمجتا لتصبحا تاء نطقاً، كما هو مألوف ومعروف في نماذج لا تحصى في اللغة الكوشية (المروية). فبناء الاسم إذن هو **كوش - تو (س - لو)**، ومعناه "الذي من كوش"، أي "الكوشي".

وما دام الملك من كوش، ومقبرته هي رقم ٨ المسطبية المحلية الطابع في جبانة الكرو، وأنه جاء مصر فاتحاً من كوش، ورجع ليموت ويدفن في كوش، فإن اسمه منطبق على مسمى.

ب- **الاسم الثاني: بيّي "الحي"**

الاسم الثاني الدال على كوشية أسماء ملوك كوش، قبل فتح مصر وبعده، اسم بيّي "الحي". لقد تيقن لعلماء الدراسات السودانية القديمة، وبعضهم من كبار علماء الدراسات المصرية القديمة مثل باركر، ولكلا وهينتزة وغيرهم، أن الملك الذي ورد اسمه □ /𓅱𓏏، **ب ي** (الشكل٥أ)، بالهيراطيقية لا الهيروغليفية، على برديتين ولوحة حجرية[٨] ما هو إلا الملك الكوشي الذي كان اسمه يقرأ بعانخي. وذلك ما أثبتته دراسة لباحث ألماني في ١٩٦٨، اسمه بريزة[٩]. ففيها (الشكل ٥ب) أن الرمز 𓂋 ، الذي بسببه قرئت **عنخ** في الاسم في قراءته المعروفة، لا ينطق لأنه مخصّص للمعنى أضافه الكاتب لكلمة **ب ي** الكوشية

[7] Abdelgadir M. Abdalla, "Some Examples of Incremental Repetition", pp.18-20, "Napatan Meroitic Continity", pp. 876-877, Macadam. "Names and Relationships", p. 140, Leclant, Annuaire, p. 190.

[8] R. Parker, "King Py", p. 112.

[9] K-H. Priese, "Nichtaegyptischen Namen", pp. 156-175.

(المروية)، وبمعنى "الحي"، ليخصص معناها. وتوصل إلى نتيجة بطريقة مقنعة بمقارنة الاسم نفسه، في هيئاته المختلفة بكلمة أخرى كوشية (مروية) معروفة المعنى، خُصِّص معناها بمخصِّص معنى مصري زائد، هي **مأو** "طيب، حسن" التي صاحبها الرمز 𓃀 كمخصِّص للمعنى لا ينطق، في كتابة مصرية لاسم ملك كوشي (مروي) ترد فيه تلك الكلمة (الشكل ٥ب). فالرمز 𓃀 زائد إضافي في كلمة **مأو**، تقلب أمره ما بين متوسط، إلى متأخر، إلى متقدم إلى غائب، دون أن يؤثر في المعنى بشيء. وذلك هو أمر الرمز 𓇋 في الصيغ المقابلة للفظة **مأو**. وبالتالي، كما أصاب بريزة، فإن الرمز 𓇋 **ب ي** زائد، مخصص للمعنى، متقلب الوضع بغير ضرر، تماماً مثل 𓃀 في **مأو**. وبما أن **مأو** تنطق من غير 𓇋، فإن **ب ي** لا بد أن تنطق من غير 𓇋. لذا فإن اسم الملك الكوشي 𓇋𓏏𓃀𓅱 **ب ي**، بيِّي، وليس **باعنخ – ي** "بعانخي" كما اشتهر.

ويدعم قول بريزة نصان كوشيان (مرويان) من الفترة المروية لكوش، يأتيان من المصورات الصفراء (الشكل ١. الخارطة)، من أرض البطانة بالسودان. أول النصين باللغة المصرية القديمة، بالخط الهيروغليفي. والثاني باللغة الكوشية (المروية)، بالخط المروي التجريدي (الشكل٥ج). واللفظة بيت القصيد في النصين اسم المصورات الصفراء باللغة الكوشية (المروية)[10]، الذي كتب 𓎛𓏏𓊪𓂋، 𓎛𓏏𓊪𓂋، **ب ر** من غير صوائت في المصرية، و **ب ا ر ا – ب ي** بصائتين ممدودين هما الألف والياء، في المروية. وبما أن الصيغة الكوشية (المروية) مكونة من مقابلي 𓎛𓏏 و 𓊪 فقط، فإن ذلك يقطع مرة أخرى بأن 𓊪، التاء (ـَ) أو بدونها، مخصِّصاً معنى، لا يُنطقان. وتكون **ب ي**، الكوشية (المروية)، مطابقة للأخرى 𓎛𓏏 المصرية، وأنهما معاً متعلقتان في المعنى بما يدل عليه 𓊪، وهو "حي، حياة". إذن فالكلمة في صيغها الثلاث، المصريتين الهيروغليفيتين 𓇋𓏏 **ب ي** و 𓎛𓏏 **أب** والكوشية (المروية) **ب ي**، كوشية (مروية)، بمعنى "حي، حياة"، وأن اسم الملك الثالث المعلوم لكوش 𓇋𓏏𓊪𓅱 ينطق **ب ي** فقط، لا بعانخي، وأنه كوشي (مروي) في نطقه ومعناه.

وكذلك يكون اسما الملكين الثاني والثالث المعروفين لكوش، الأب كوشتو وابنه بيِّي، كوشيين (مرويين) بناءً ومعنى، بلغة البلاد التي ينتميان إليها، وهي كوش. وهما بذلك يدعمان الأدلة الأثرية الواردة من جبانة الكرو، المتقدمة في البحث.

٤– وراثة المُلك وتزوُّج الشقيقة

بنظرة فاحصة في الشكل ٦ يتبين شيئان واضحان في وراثة المُلك الكوشية. الأول هو انتقال الملك بين الإخوة أولاً قبل انتقاله للابن الأكبر للأخ الأكبر، إن وجد، فإخوته من بعده إن كان له إخوة. لا يختل هذا النظام إلا إذا انعدم الأخ أو ابن الأخ الأكبر، فحينئذٍ ينتقل المُلك من الملك لابنه مباشرة. وهو شيء كوشي محلي لا نظيرله في مصر، يقطع بالأصل المحلي لهذه العادة.

الشيء الثاني إمكان تزوُّج الأخ من شقيقته. فهو وإن كان معروفاً في مصر من حيث مبدأ تزوُّج الملك من أخته، فإنه مخالف لما في مصر التي لم يثبت فيها تزوج الأخ من شقيقته

---

[10] **Fr. Hintze, "Die Inschriften", pp. 26-28, "Preliminary Report", p. 181, Musawwarat, Textband, pp. 79-87, Abb. 28, 30b, 32, 37, 39.**

كما ثبت في كوش. وقد اتضح الأسلوب المذكور في وراثة المُلك منذ البداية، قبل الأسرة الخامسة والعشرين، في عهدي ألارا وكوشتو، واستمر لما بعد الأسرة الخامسة والعشرين. يوضح ذلك الشكل ٦، ويظهر فيه أسلوب توارث الملك بالأرقام المسلسلة من ألارا (١) إلى أسبلتو (١١)، كما توضح الخطوط الأنساب[11]. فيما يلي تبيان لما ذكر:

أ- انتقال الملك:

لو كان ألارا(١) هو الأخ الأكبر لكوشتو(٢) وهو أمر راجح، يكون المُلك قد انتقل من الأخ الأكبر إلى الأصغر، وبعد ذلك لا بني الأخ الأصغر كوشتو(٢)، وهما بيِّي (بعانخي سابقاً)(٣) وشباكو(٤)، بهذا الترتيب. فلعل انتقال الملك لابني الأخ الأصغر كان لعدم وجود ابن للأخ الأكبر لسبب ما بعد موت الأخ الأصغر.

وبعد موت شباكو(٤)، الأخ الأصغر لبيِّي(٣)، عاد الحكم مرة أخرى لجانب الأخ الأكبر بيِّي(٣)، وهما حسب السن شبتكو(٥) وتارقو (تهراقا)(٦) من بعده. لكنه بعد تارقو(٥) عاد لابن الأخ الأكبر شبتكو، هو تانويتاماني(٧)، لينتقل بعده في نسل تارقو نفسه، في ابنه أتولنرسو (أتلانيرسا سابقاً)(٨). ولسبب لا يعرف استمر المُلك في نسل تارقو(٦)، في حفيده سنك أماني سكن(٩)، ابن أتولنرسو(٨) أولاً، وفي حفيدي أتولنرسو، ابني سنك أماني سكن(٩)، الأخوين، الأكبر ألنماني(١٠) أولاً فالأصغر أسبلتو(١١) ثانياً، وآخراً.

ب- تزوُّج الأخت، بل الشقيقة

تزوُّج الملك من أخته شيء معروف في مصر القديمة كما كان في كوش. لكن تزوُّج الأخ من شقيقته لم يثبت في مصر كما ثبت في كوش. والغاية من هذا الزواج الأخوي حصر الدم الملكي، والألوهية المنسوبة إلى الملوك آنذاك، في الأسرة المالكة، وفي أقرب الأقربين.

فيما يلي عرض موجز لزواج الأخ من أخته، كظاهرة غالبة في كوش، وزواجه من شقيقته كحالة خاصة.

ب:١ إن ثبت أن ألارا(١) هو أخو كوشتو(٢)، وبما أن الأخير أخ لأختين هما باباتما وكاسقو، فإن كلاً من الأخوين تزوج أختاً له؛ فتزوج ألارا(١) كاسقو كما تزوج كوشتو(٢) باباتما.

ب:٢ للملك بيِّي(٣) أخ واحد مؤكد هو شباكو(٤) وأربع أخوات هنَّ أبار وخنّسا وبكستر وأمون إرديس الأولى. تزوج بيِّي الثلاث الأوليات من أخواته، ولم يتزوج الرابعة، أمون إرديس الأولى، لأنها كانت في المنصب المعروف "بزوجة أمون المقدسة" الذي يحرم عليها الزواج. فأنجب عشرة أولاد وبنات لا يعرف أي زوجاته أنجبتهم إلا تارقو (تهراقا)(٦)، فإنه من أبار. فتزوج الابن الأكبر شبتكو(٥) أخته أقوليتو، وأنجب منها تانويتاماني(٧)، وأخته الأخرى أرتي ولم ينجب منها شيئاً معلوماً لنا، كما تزوج أخوه الأصغر تارقو (تهراقا)(٦) أخته [.] سلكا، وأنجب منها أتولنرسو(٨). هذا عدا أخواته الأخريات اللائي تزوجهنَّ ولا يُعرف إن كان قد أنجب منهنَّ أم لم يفعل. وهنَّ تبريّ، تابيكي أماني، دخيتي أماني. أما أخته

[11] D.. Dunham and M. F. L. Macadam, "Names and Relationships", pp. 139-148, M.F.L. Macadam, The Temples of Kawa I, Text, pp. 119-131.

شبنوبت الثانية، فإنه لم يتزوجها أحد من إخوتها الثلاثة (شبتكو وتارقو وخليوت) لأنها آنذاك كانت متبوأة منصب "زوجة أمون المقدسة"، ولا يمكنها التزوج من أحد. ويعرف لتارقو مع ابنه أتولنرسو ثلاث بنات هنَّ ملوترور الأولى، ويوترو وأمون إرديس الثانية. تزوج أتولنرسو(٨) أختيه ملوترور الأولى ويوترو، منجباً من الأولى ابنه سنك أماني سكن(٩)، ومنها أو من غيرها ابنته تسلسو. والأخيرة تزوجها أخوها سنك أماني سكن(٩) لينجب منها أشقاء ثلاثة، هم الأخوان أنلماني(١٠) وأسبلتو(١١) والشقيقة مديقون. فتزوج الأخ الأكبر أنلماني(١٠) شقيقته مديقون ليكون ذلك أوضح دليل على زواج الشقيق من شقيقته.

خاتمة:

يتضح من الأدلة الآثارية من جبانة الكرو الأصل الكوشي للأسرة المعروفة بالخامسة والعشرين في التاريخ القديم لمصر. فقد أبرز البحث التطور المحلي للمقابر الملكية في الجبانة، ابتداءً بمقابر الأسلاف السابقة للأسرة الخامسة والعشرين، واستمراراً في مقابر كوشتو وبيِّي، الملكين الثاني والثالث لكوش. وقد دعمت هذا الدليل أدلة مهمة مساندة أخرى هي: (١) استقرار الجزأين العلوي والسفلي للمقابر على محور جنوبي – شرقي وشمالي – غربي، واتجاه مداخل المقابر اتجاهاً جنوبياً – شرقياً، (٢) استمرار دفن الميت أو الميتة على سرير مستقر فوق دكة متخذين المحور الذي كان من قبل لحفرة الدفن ولحدها، (٣) كوشية أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، (٤) وراثة المُلك المتميزة وتزوُّج الملك لأخته، بل وشقيقته يقيناً.*

❖ في نهاية البحث يطيب لنا شكر الأستاذ حمزة عبد الله النميري على تنفيذه رسومات الأشكال.

المراجع

Abdalla, Abdelgadir M.

1977 "Some Examples of Incremental Repetition in Meroitic Personal Names", Aegypten und Kusch, pp. 17-40 (Berlin: Akademie Verlag).

1988 Napatan-Meroitic Continuity: Kush and Kushiteness", Studia Meroitica, MEROITICA 10, pp. 876-877 (Berlin: Akademie Verlag).

Arkell, A.

1973 A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821 (Westcroft Connecticut: Greenwood Press. Reprint).

Dixon, D.M.

1964 "The Origins of the Kingdom of Kush (Napata-Meroe)", Journal of Egyptian Archaeology 50, pp. 121-132 (London).

Drioton, E. and Vandier, J.

1962 L'Egypte (Paris: Press Universitaire de France).

Dunham, D.

Royal Cemeteries of Kush (Boston, Massachussetts: Museum of Fine Arts).

1950 I El Kurru.

1955 II Nuri.

1957 IV Royal Tombs at Meroe and Barkal.

1963 V The West and South Cemeteries at Meroe.

1970 The Barkal Temples.

Dunham, D. and Macadam, M.F.L.

1949 "Names and Relationships of the Royal Family of Napata", Journal of Egyptian Archaeology 3, pp. 139-149 (London).

Hintze, Fritz

1959 "Preliminary Repoart of the Butana Expedition 1958", Kush VII, pp. 171-196 (Khartoum).

1962 "Die Inschriften des Loewentempels von Musawwarat Es Sufra", Abhandlungen der deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin. Kl. fuer Spr., Litr. und K. 1 (Berlin: Akademie Verlag).

Kendall, T.

1999 "The Origin of the Napatan State; El Kurru and the Evidence for the Royal Ancestors", MEROITICA 15, pp. 3-118 (Berlin: Akademie Verlag).

Leclant, J.

1969-70 Annuaire de l'Ecole Pratique des Hautes Etudes 77 (Paris). Macadam, M.F.L.

1949a The Temples of Kawa, I. The Inscriptions. Text (London: Oxford

1949b See Dunham 1949.

Parker, R.

1965 "King Py. A Historical Problem", Zeitschrift fuer aegyptische Sprache 93, pp. 111-114 (Berlin).

Priese, K.H.

1968 "Nichtaegyptischen Namen und Woerter in den aegyptischen Inschriften der Koenige von Kusch", Mitteilungen des Instituts fuer Orientforschung der deutschen Akademie fuer Orietnforschung zu Berlin).

Reisner, G.A.

1919 Discovery of the Tombs of the Egyptian XXVth. Dynasty at El Kurru in Dongola Province", Sudan Notes and Records II, pp. 237-254.

١- المساطب، وفي مدافن الأهرامات، تتجه إلى الجنوب الشرقي وهذه سمة لم تعرف في المدافن المصرية.

٢- تركز دفن الموتى على وضع الجثمان على سرير خشبي منسوج بالجلد، وتلك عادة جنائزية عرفتها ومارستها حضارة كرمة، ولم تعرفها المدافن المصرية.

٣- لم تقترن أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين باسم المعبود آمون رغم أنه كان معبودهم الرئيس، إلا مع تانوي تمان آخر ملوك تلك الأسرة.

٤- عند توسع الدولة على عهد بـــي توقف دفن الملكات في المقبرة الرئيسة مع الملـــوك، وتحولت إلى الرابية الجنوبية، تاركين الرابية الوسطى لما سيأتي من ملوك.

٥- كان للمرأة دور بارز في الدولة منذ بدايتها حين نصَّب كوشتو ابنته أمنيردس في معبد آمون في طيبة، وحتى أصبحت المرأة مشاركة في الحكم أو منفردة به كما حدث لاحقاً مع أماني شختي وأماني رينس، وأماني تاري، وشنادختي، للحـــد الـــذي قـــاد الكتـــاب الرومان (استرابو وبليني) إلى القول أن كوش تحكمها ملكات أطلقوا عليهن لقب كنداكـــة (Kdke).

٦- بعث حكام هذه الأسرة عادات كانت قد انقضى عهدها في مصر مثـــل الدفـــن تحـــت أهرامات.

٧- بعد نحو ٣٠٠عام من اغلاق المقبرة في الكرو، عاد أحد الملـــوك المتـــأخرين (نحـــو ٣٧٠-٣٥٠ق.م.) يحتل الرقم ٢٠-٢٤في قائمة ملوك كوش ليدفن في الـــهرم رقـــم ١، وتدفن زوجته في الهرم رقم٢، مؤكداً استمرارية تلك الأسرة واستمرارية المقبرة معاً.

٨- حوت مقبرة الكرو في الرابية الشمالية مقابر للخيول، حمل بعضها أسماء أصحابها مـــن الملوك (بـــي، شبكو، شبتكو، تانوي تمان)، وقد حوت ٢٤قبراً، وتلك ظاهرة لم تعـــرف في شمال الوادي.

الخاتمـــــة:-

على الرغم من التقسيم الشكلي للمدافن إلى مجموعات أربعة، إلا أن هذه المدافن تظـــهر تطوراً واضحاً في عدة جوانب داخل كل مجموعة وتربط بعض المدافن بيـــن المجموعـــات. فالمقبرة الركامية رقم ٢ والمقبرة الركامية ذات الحدوة رقـــم ١٩ تربـــط المقـــابر الركاميـــة بالمقابر الركامية ذات الحدوة. والمقبرة الركامية ذات الحدوة رقم ٦ والمسطبة رقم ١٤ تربـــط المقابر ذات الحدوة بالمساطب. المسطبة رقم ١٨ والهرم رقـــم ١٧ يشـــكلان المعـــبر مـــن المساطب إلى مدافن الأهرامان.

لم يكن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الذين دفنوا في المقبرة الملكية في الكرو هـــم أول من دفن فيها، بل كانوا آخر من دفن فيها، إذ سبقهم أربعة أو خمسة أجيال ضمتهم ستة عشـــر قبراً في تلك المقبرة، شكلت تتابعاً واستمرارية دون انقطاع منذ نحو ٩٠٠ق.م وحتى ظـــهور أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في مصر في نحو ٧٦٠ق.م.

لعل التسلسل الطوبغرافي للمدافن وتطورها المعماري واستمرارية تقاليد حضارية محليـــة ضمن ظواهر أخرى، لم تترك مجالاً لمجرد الشك في الأصول المحلية لهذه الأسرة. إلا أن ما يبقى محل بحث واستقصاء هو الطريقة التي طوَّرت تلك الأسرة من خلالـــها نظامـــاً إداريـــاً وعسكرياً وسياسياً ذهب بحدود الدول إلى أقصى اتساع لها يشهده تاريخ وادي النيل القديم.

وسواء استندت تلك السلطة على تزاوج سياسي ديني بين الأسرة الكوشية وكهنة امون في البركل، وهو أمر درجت عليه حضارات سابقة، وإن لم يكن لدينا دليل عليه في الحالة التـــي نعالجها، أو قامت الدولة على التحام سياسي اقتصادي في ظرف اضمحلال إداري وضعـــف سياسي في الشمال، أو خلاف ذلك، فذلك ما يحتاج إلى المزيد من البحث.

بعد أن امتدت حدود الدولة الكوشية شمالاً إلى مصر العليـــا بـــرزت بعـــض الســـمات الحضارية المصرية القديمة، فظهرت في المقابر بعض المصنوعات المصرية وسادت الكتابـــة المصرية وتحول وضع جثمان الميت ليتبع الطريقة المصرية رغـــم تمســـكهم بـــالكثير مـــن العادات المحلية التي سبق ذكرها.

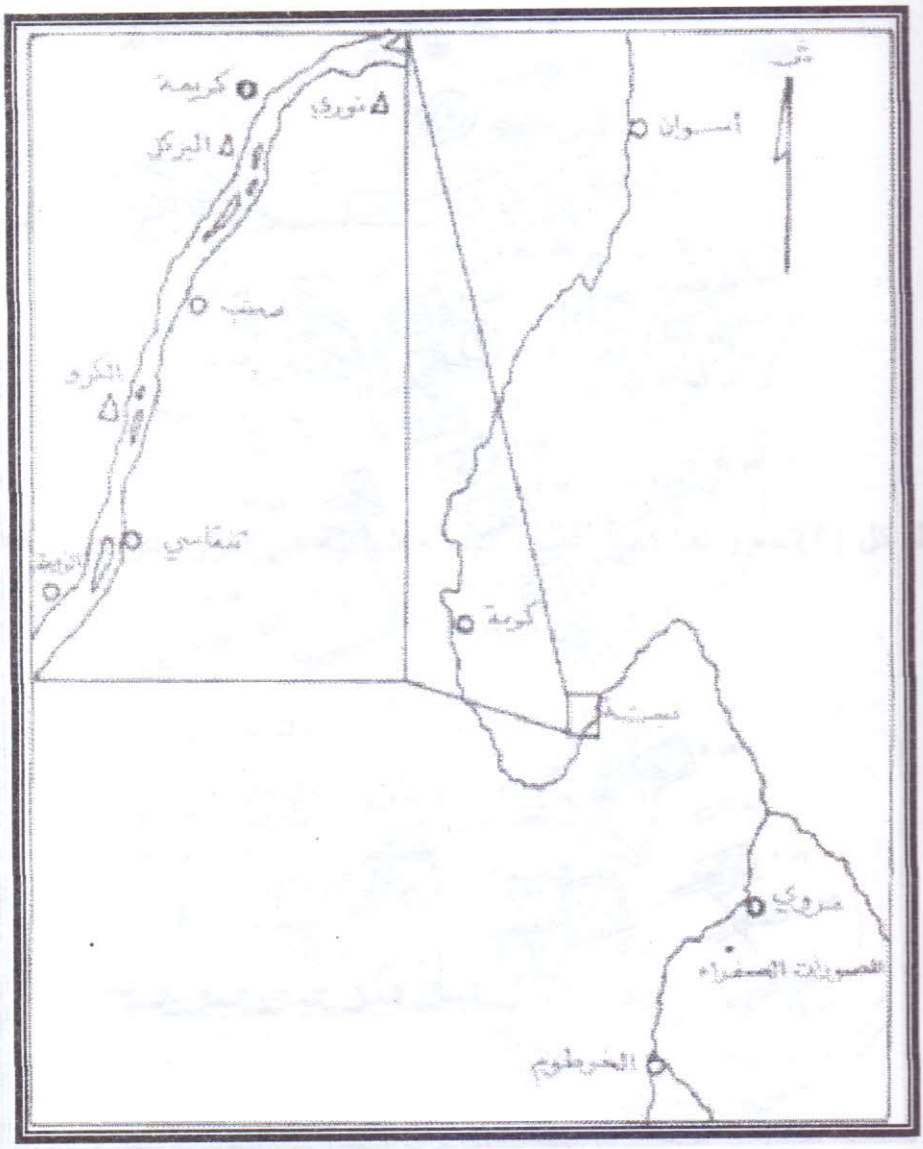

الشكل (١) شمال السودان ووسطه : المواقع الواردة فى البحث

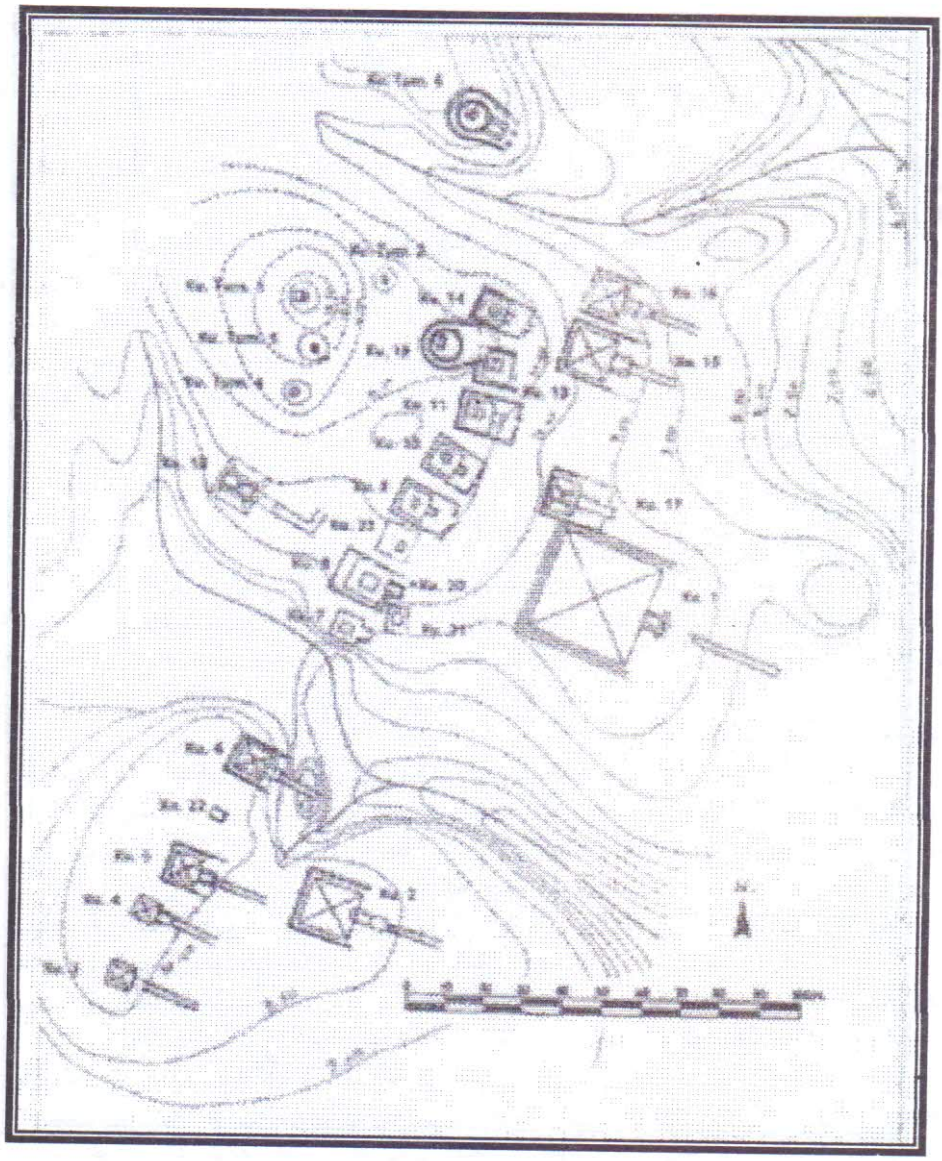

الشكل (٢) طبوغرافية الجبانة الملكية فى الكرو (عن دنهام ١٩٥٠)

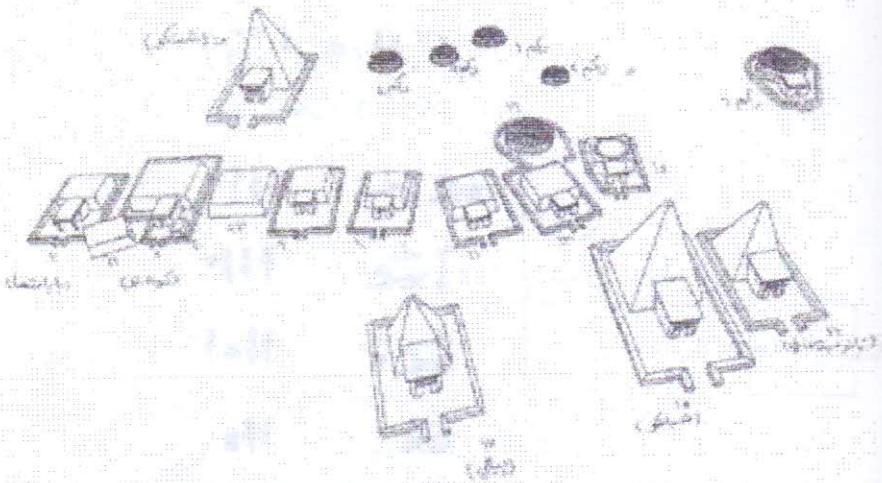

الشكل (٣)تصور لما كانت عليه الجبانة الملكية فى الكرو (عن كندال١٩٩٩)

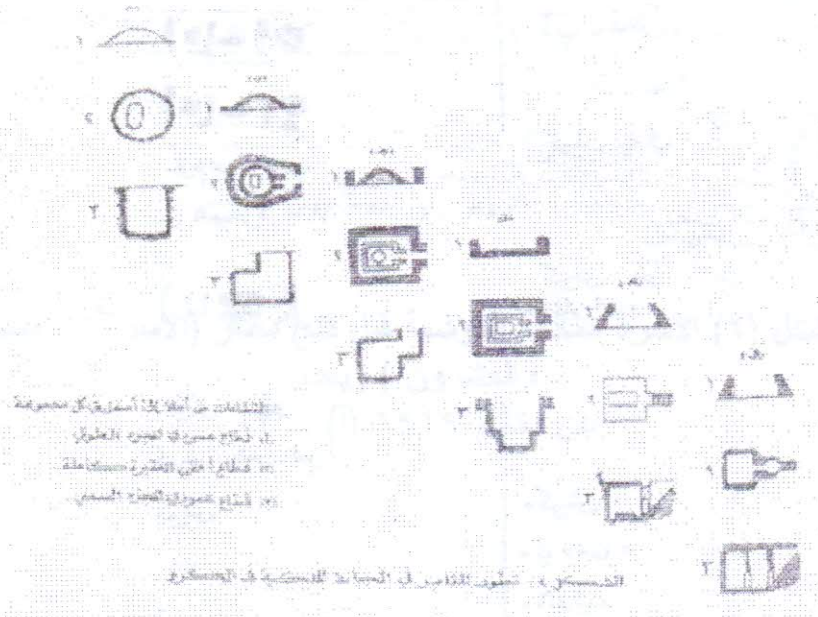

الشكل (٤) تطور المقابر الملكية فى الجبانة الملكية فى الكرو

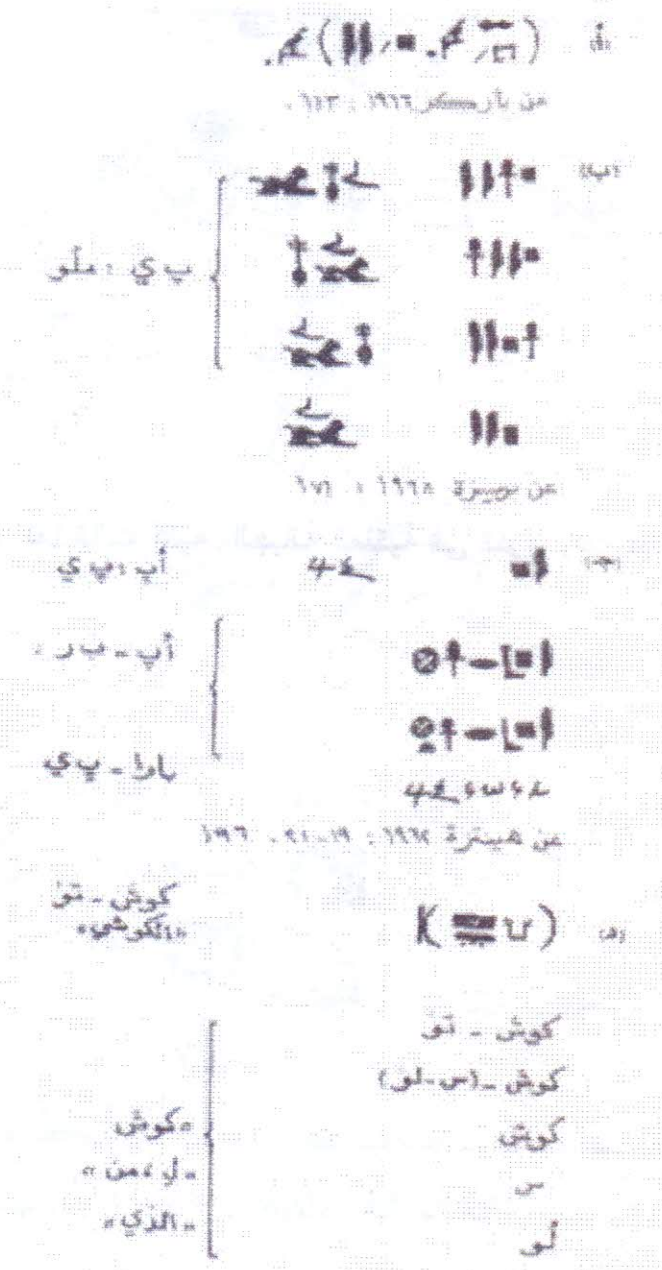

الشكل (٤) تطور المقابر الملكية فى الجبانة الملكية فى الكرو

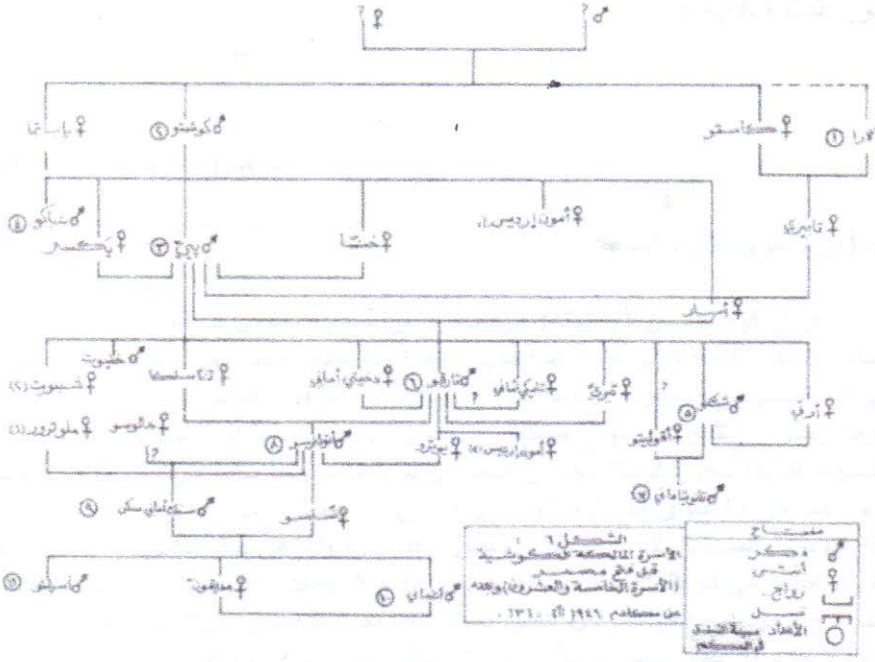

الشكل (٦) الأسرة المالكة الكوشية قبل فتح مصر (الأسرة الخامسة والعشرون) وبعده
عن مكادم ١٩٤٩ (أ) :١٣١